11 - { وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما } سبب نزول هذه الآية أنه كان بأهل المدينة فاقة وحاجة فأقبلت عير من الشام والنبي A يخطب يوم الجمعة فانفتل الناس إليه حتى لم يبق إلا إثنا عشر رجلا في المسجد ومعنى { انفضوا إليها } تفرقوا خارجين إليها وقال المبرد : مالوا إليها والضمير للتجارة وخصت بإرجاع الضمير إليها دون اللهو لأنها كانت أهم عندهم وقيل التقدير : وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه فحذف الثاني لدلالة الأول عليه كما في قول الشاعر : .

(نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف) .

وقيل إنه اقتصر على ضمير التجارة لأن الانفضاض إليها إذا كان مذموما مع الحاجة إليها فكيف بالانفضاض إلى اللهو وقيل غير ذلك { وتركوك قائما } أي على المنبر : ثم أمره ا سبحانه أن يخبرهم بأن العمل للآخرة خير من العمل للدنيا فقال : { قل ما عند ا } يعني من الجزاء العظيم وهو الجنة { خير من اللهو ومن التجارة } اللذين ذهبتم إليهما وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبي A لأجلها { وا خير الرازقين } فمنه اطلبوا الرزق وإليه ترسلوا بعمل الطاعة فإن ذلك من أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه .

وقد أخرج سعيد بن منصور وابن مردويه عن أبي هريرة قال : [قلت يا رسول ا لأي شيء سمي يوم الجمعة ؟ قال : لأن فيه جمعت طينة أبيكم آدم وفيه الصعقة والبعثة وفي آخره ثلاث ساعات منها ساعة من دعا ا فيها بدعوة استجاب له] وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والنسائي وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن سلمان قال : [قال لي رسول ا A : أتدري ما يوم الجمعة ؟ قلت : ا ورسوله أعلم قالها ثلاث مرات ثم قال في الثالثة : هو اليوم الذي جمع ا في أباكم آدم أفلا أحدثكم عن يوم الجمعة] الحديث وأخرج أحمد ومسلم والترمذي وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قال رسول ا A : [خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة] وفي الباب أحاديث مصرحة بأنه خلق فيه آدم .

وورد في فضل يوم الجمعة أحاديث كثيرة وكذلك في فضل صلاة الجمعة وعظيم أجرها وفي الساعة التي فيها وأنه يستجاب الدعاء فيها وقد أوضحت ذلك في شرحي للمنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه إلى غيره وأخرج أبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف عن خرشة بن الحر قال : رأى معي عمر بن الخطاب لوحا مكتوبا فيه { إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر ا } فقال : من أملى عليك هذا ؟ قلت أبي

بن كعب قال : إن أبيا أقرأنا للمنسوخ اقرأها فامضوا إلى ذكر ا وروى هؤلاء ما عدا أبا عبيد عن ابن عمر قال : لقد توفي رسول ا A وما نقرأ هذه الآية التي في سورة الجمعة إلا فامضوا إلى ذكر ا وأخرجه عنه أيضا الشافعي في الأم وعبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم وأخرجوا كلهم أيضا عن ابن مسعود أنه كان يقرأ فامضوا إلى ذكر ا قال : ولو كان فاسمعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وأخرج عبد بن حميد عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس { فاسعوا إلى ذكر ا } قال : فامضوا وأخرج عبد بن حميد عنه أن السعي العمل وأخرج عبد بن حميد .

عن محمد بن كعب : [أن رجلين من أصحاب النبي A كانا يختلفان في تجارتهما إلى الشام فربما قدما يوم الجمعة ورسول ا A يخطب فيدعونه ويقومون فنزلت الآية { وذروا البيع } فحرم عليهم ما كان قبل ذلك] وأخرج ابن جرير عن أنس قال : [قال رسول ا A في قوله : { فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل ا } قال : ليس لطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في ا] وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية قال : لم تؤمروا بشيء من طلب الدنيا إنما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في ا وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد ا قال : [بينما النبي A يخطب يوم الجمعة قائما إذ قدمت عير المدينة فابتدرها أصحاب رسول ا A حتى لم يبق منهم إلا إثنا عشر رجلا أنا فيهم [و] أبو بكر وعمر فأنزل ا : { وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها } إلى آخر السورة وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس في الآية قال : جاءت عير عبد الرحمن بن عوف تحمل الطعام فخرجوا من الجمعة بعضهم يريد أن يشتري وبعضهم يريد أن ينظر إلى دحية وتركوا رسول ا A قائما على المنبر وبقي في المسجد اثنا عشر رجلا وسبع نسوة فقال رسول ا A : لو خرجوا كلهم لاضطرم المسجد عليهم نارا] وفي الباب روايات متضمنة لهذا المعنى عن جماعة من الصحابة وغيرهم